Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو كابده الخلي لانثنى على كبير ذات حرق ولواعج . . وأذم زماناً يفرق فلا يحسن جمعاً، ويخرق فلا ينوي رقعاً؛ ويوجع القلب بتفريق شمل ذوي الوداد، ثم يبخل عليهم بما يشفي الصدور والأكباد، قاسي القلب، فلا يلين لاستعطاف، جائر الحكم فلا يميل إلى إنصاف، وكم استعدى علب صروفه واستنجد، وأتلظى غيظاً عليه وأنشد:

متى وعسى يثني الزمانُ عنانه ... بعثرة حال. والزمانُ عثور
فتدرك آمالٌ وتقضىَ مآربٌ ... وتحدث من بعد الأمور أمور

وكلا. فما على الدهر عتب. ولا له على أهله ذنب، وإنما هي أقدار تجري كما شاء مجريها وتنفذ كالسهام إلى مراميها، فهي تدور بالمكروه والمحبوب على الحكم، المقدور والمكتوب، لا على شهوات النفوس، وإرادات القلوب، وإذا أراد الله تعالى، أذن في تقريب البعيد النازح، وتسهيل الصعب الجامح، فيعود الأنس للقاء الأخوان كأتم ما لم يزل معهوداً، ويجدد للمذاكرة والمؤانسة رسوماً وعهوداً. إنه الملبي به والقادر عليه[1].

(ز) المناقضة:

هذا لون من ألوان الجدل الذي شاع في هذا العصر بذيوع الفلسفة اليونانية، غايته نقض الحقائق الثابتة أو ما تعارف القوم عليه، بالدليل والبرهان، وذلك لا يتأتى إلا لذوي اللدد والمقدرة اللسانية. فالجاحظ يمدح «النبيذ» في رسالة، ويذمه في أخرى، وسهل بن هرون ـ لنزعة شعوبية ـ يذم «الكرم» الذي تغنى به العرب في منظومهم ومنثورهم، ويمدح «البخل» الذي هو عنوان الحكمة والتدبير والإقتصاد. وليس كذلك الكرم الذي هو عنوان السفه والتبذير، ثم هو أيضاً يفضل الزجاج على الذهب، والمال على العلم، وفي الأمر مغالطات نكشف عنها عند الحديث عن رسائله.

ومهما يكن من أمر فان الكتابة هنا قد استخدمت للتفصح وإظهار البراعة التي تجعل الفاضل مفضولاً، والمفضول فاضلاً.

---

(١) زهر الآداب ٢/١٨٩